عجالة في رحلة الهند

﴿ لصاحب المنار ﴾

قد استفدت في رحلتي الى الهند والبلاد العربية الشرقية فوائد كثيرة جديرة بأن تنشر في المنار ، وأن تدون في كتاب مستقل ، ولذلك عزمت على تأليف رحلة خاصة في ذلك . ورأيت أن اعجل لقراء المنار ببعض ما رأيت وما استفدت

الانكليز : رياضتهم وأخلاقهم

لا يرى المسافر في سفينة انكليزية عبرة تهديها عيناه الى فكره أعظم من انهماك الانكليز في الرياضة البدنية في عامة اوقاتهم ، فاذا هو زار الهند بعد ذلك ورأى فيها حكامهم وعسكرهم يعيشون في ذلك الحر المحرق بلا ضرر ولا ضجر ولا سأم — يعلم من اسرار تلك الرياضة البدنية ومنافعها مالم يكن يعلم ، ويرى كيف وصل العقل البشري الى الجمع بين الترف والنعيم والبأس والقوة ، وكان هذا في العصور السابقة أمرا مجهولا ، ولذلك اهلك الترف أممًا كثيرة ، وأفنى دولا كانت قبله قوية ، وهل يعتبر بهذا أغنياء امتنا ، بل عامة أهل المدن منا ؟ كلا ! انا نراهم لا يأخذون عن الافرنج الا اسباب الترف والنعيم ، ووسائل الراحة واللذة ، ينفقون في ذلك أموالهم وصحتهم ، فبلادهم وملكهم ، حتى يكونوا عبيداً أذلاء . ومن العجائب ان الذين يزعمون منا أنهم مصلحون سياسيون ويتصدون لزعامة الأمة وقيادتها في ميدان الحياة الاجتماعية والسياسية ، هم أشد أفرادها إسرافا في الترف ، وانهما كافي اللذات ، وحرصا على الزينة والتنعمة ، وإن اجتهادهم وكفاحهم ضرب من ضروب الكلام ، وهو التشنيع على من سادوا بلادهم بالقوى البدنية والنفسية (الاخلاق) والعلمية ، وما يتبعها من القوى المالية والآلية ولا نراهم يقودون الأمة الى ما يقوي أبدانها وارادتها ، ويهذب أخلاقها وصفاتها ، ويوسع دائرة علومها وثروتها ، ومن خصم نفسه فأي ربح يرجوه في سواها ؟

اني سافرت من بور سعيد الى بمبي في احدى بواخر البريد الانكليزية بين اوربة والهند ولم يكن في الدرجة الأولى ركاب من غير الانكليز سواي ، فكان اول عبرة اطلت فيها الفكرة من احوالهم ما ذكرت من عنايتهم بالرياضة البدنية ، ثم ان اخلاقهم وآدابهم ليست بالتي ينساها المعتبر ، او يغفل عنها العاقل المفكر ، وانها لأخلاق عالية ، وآداب سامية ، وهل سادوا الأمم ، وبزّوا الدول ، الا بعلو أخلاقهم ، وصحة أبدانهم ؟ والمشهور عنهم انهم اصحاب جفوة ، وأنهم لا يبدءون غريباً بشيء من وسائل العشرة ، ولكنني رأيت كثيرا منهم يبدأني بالتحية ، ويفتح لي باب الكلام معه ، ولكنني لسوء الحظ لم اكن اعرف من اللغة الانكليزية ما يمكنني من محادثتهم ، ويسهل لي سبيل معاشرتهم ،

ومما يتصل بمسألة الاخلاق والآداب ويعد من فروعها عنايتهم بنظافة السفينة فان الملاحين يغسلون كل يوم كل ما يمكن غسله منها كسطحها الذي هو محل الجلوس والرياضة ، ويمسحون ما عدا ذلك ، فلا تشم فيها رائحة ما ، ولا تقع يدك على شيء يعرفك الى الماء ، ولا يمس ثوبك شيئاً يدعوك الى استبدال غيره به . ولعلك لا تجد قصرا من قصور الملوك والامراء ، ولا دارا من دور أهل الفنح (١) والثراء ، اشد نظافة من هذه البواخر الانكليزية ، وأما بواخرهم التي تتردد في الخليج الفارسي فهي دون بواخر الشركة الخديوية في النظافة والخدمة والطعام وفي كل شيء . وكانوا يسيئون فيها معاملة العرب الى ان انشئت شركة البواخر العربية فاضطرتهم الى تغيير معاملتهم

ومن وجوه العبرة في مسألة النظافة أن المسلمين قد انقلب فهمهم لها فجعلوا كل ما ورد في الشرع من أحكامها أمورا تعبدية يمكن الجمع بينها وبين الوساخة والقذارة كأن الطهارة الشرعية لا يقصد بها ما يفهم من معناها في اللغة العربية ، ففي عرف جمهورهم ان الوسخ القذر الكريه الرائحة قد يكون وليا كاملا في اتباع الشريعة ، وأن النظيف البدن والثياب قد يكون مجبا اذا تعطر على نظافته ببعض الاعطار التي تمزج بالكحول الذي هو اقوى طهورية من الماء اذ يزيل من النجاسات والاقذار ما لا يزيله الماء ولو كان مع الصابون . وسنشرح هذه المسألة في الرحلة ان شاء الله تعالى

ومن آيات العبر التي أصبتها في هذه الرحلة عناية الانكليز بأمر البريد في البحر

(١) الفنح مصدر فنح الرجل اذا كثر ماله ونما والكرم والعطاء والجود الواسع والفضل الكثير

والبر ، والتوفيق بين مواعيد السفن والقطارات التي تحمله ، ولا غرو فالبريد آلة السلطة والتصرف في الملك وفي عقول الناس وقلوبهم ، وعلى شرح ذلك الرحلة

ازياء اهل الهند

إن ازياء اهل الهند هي أول ما يشغل نظر السائح فيها ويثير تعجبه . يرى في بمبي — وهي زينة بلاد الهند في حضارتها وعمرانها وثروتها — ألوفا من النساء الوثنيات مكشوفات البطون والصدر والأفخاذ يجلسن في الشوارع والأسواق ، عاريات رأسهن ، باثمات متاعهن ، ويرى الرجال حتى الاغنياء منهم مشمرو الأوساط بأزر بيضاء مرفوعات الاطراف من بين الرجلين بحيث يرى باطن الفخذ والساق ، ويرى كثيرا من الرجال والولدان عراة الاجسام لا يسترون منها الا السوءتين فقط ، وهم يبيعون أو يشتغلون في الاسواق ، ويرى الألوف الكثيرة من العمائم البيضاء الملونة بجميع الالوان . وفي داخل الهند أزياء اخرى للنساء : تراهن في « بنارس » — مدينتهم المقدسة — وفيما يقرب منها من البلاد يضعن على رءوسهن قناعا يسدلنه على الجانب الايسر من البدن وعلى الصدر ، ويبقى الجانب الايمن مكشوفا بحيث يرى نصف البدن الأعلى كله . ويرى الرجال والولدان في محطة سكة الحديد عراة يغتسلون من الحنفيات التي بجانبها . ويسمون الخرقة التي يسترون بها السوءتين « سيلين » وقد اخذوا هذا الاسم عن المسلمين الذين كانوا يكرهونهم على ستر عوراتهم بعد الفتح الاسلامي ، والفقهاء يطلقون لفظ السيلين على القبل والدبر كما هو معروف

واما الحلي فهو عام يشارك الذكور فيه الاناث فيضعون في اذانهم الاقراط وفي اعضادهم الدمالج وفي سوقهم الخلاخيل . والنساء يستكثرن من ذلك حتى انك ترى في ساق الواحدة منهن عدة خلاخيل ثقيلة وفي أصابع ارجلها كلها الخواتيم الكثيرة . واقراطهن كبيرة كاسورتهن ويكثرن منها حتى يقول الناظر : كيف يستطعن حملها ؟ ويستكثرن ايضا من الخزام في أنوفهن وقد يكون كبيرا مثل السوار — يظن الغريب أنهن يتحملن العناء بحمله الا أن يتذكر أن العادة تخف على صاحبها وان ثقلت على ذوق غيره . ويرى النساء والرجال في المزارع مشتركين في العمل عراة وانصاف عراة

اما نساء المسلمين فيقل بروزهن في الاسواق والشوارع ، وترى على رأس الواحدة منهن ثوبا شاملا يشبه الخيمة وعمود هذه الخيمة بدنها ، ولها تقان بازاء

الذين لهما شبكة من الخيطان ترى منها الطريق الذي تمشي فيه ولا يراها منها احد

واكثر المسلمين يلبسون السراويل — امله لا يتركه منهم الا بعض الفقراء — ومنهم المعمون ولا يلبسو الطرابيش الفينية ولا يلتزمون ان يكون لها زر ، ومنهم من يلبس الكمة (الطاقية) حتى ان كبار العلماء يحضرون الدعوات والاجتماعات وليس على رأس الواحد منهم الا كمة بيضاء ، ورأيت الرجل يلبس تارة عمامة كبيرة وتارة كمة وتارة قلنسوة ، ولا ينكر عليه أحد بلسانه ، ولا بقلبه ومن الناس من يلبسون عمائهم منسوجة بالذهب او الفضة ، فخريتهم في الازياء واسعة جدا

وترى احسن أهل الهند زينة وأجمل ازياء نساء المجوس ، والمجوس كثيرون في بمبي قليلون في داخل الهند ، وهم ارقى أهل الهند حضارة ومدنية وعلما وثروة ، والسبب في ذلك أن الانكليز عنوا بتربيتهم وتعليمهم ما لم يعنوا بغيرهم لحاجتهم الى الاستعانة بهم على بعض الاعمال الوطنية ، وعدم خوفهم من غائلة ارتقائهم لانهم قليلو العدد . وهم على ارتقائهم في العلم والمدنية رجالا ونساء محافظون على شعائرهم وشخصياتهم الملية فهم يتركون امواتهم للطيور تأكلها ولها بناء عظيم في اعلى واجمل مكان في بمبي لا يأذنون لاحد أن يصعد اليه . ويسمون أنفسهم ويسميهم الناس « الفرس » وأما الايرانيون المسلمون فلا يسمون في الهند فرسا ولا يطلق على أحد منهم لفظ الفارسي . والفرس الخلص ينكرون كونهم من سلائل أجدادهم ويقولون : إنهؤلاء تجارية وترك . والصواب ان مسلمي ايران مختلطو الانساب فبعضهم من ذرية الفرس الأولين وبعضهم من العرب والترك والمغول وأجناس أخرى ، وكذلك مسلمو الهند ومصر والحرمين والاناطول والروملي مزيج من السكان الاصليين ومن الفاتحين والمجاورين والمهاجرين ، وبعض البلاد كانت تكثر اليها الهجرة لما فيها من العلم أو الخصب والراحة كالبلاد الايرانية في عهد حضارتها الاسلامية ، واللغة لا تدل على أصل الجيل والقبيل فان اكثر الناطقين بالتركية من مسلمي الروملي هم من الروم والبلغار والالبانيين لا من الترك الفاتحين كما تدل على ذلك سحنهم ومعارف وجوههم ، فالترك العثمانيون والفرس الايرانيون المسلمون والعرب المكيون والمدنيون ليسوا تركا وفرساً وعرباً الا باللسان دون النسب ، وأما أهل قرى الحجاز وباديته فهم كسائر عرب الجزيرة في نجد واليمن صريحو الانساب الدخيل فيهم معروف لا يزوجونه منهم اذ لا يزالون يحافظون على انسابهم وأنساب خيلهم

العادات في الاكل والطعام

لا يزال اكثر وثنيي الهند يأكلون على ورق الشجر كما كانوا قبل الفتح الاسلامي الذي غير كثيراً من عاداتهم ولا سيما عادة العري ، ولا يؤاكلون أحداً من غيرهم فلا يضيفون أحداً ولا يقبلون ضيافة أحد لاعتقادهم أن جميع الناس نجس.

أما المسلمون فهم أهل الضيافة والكرم والطلاوة الصحيحة وعاداتهم في الاكل كعادات عرب الجزيرة يمدون السماط على الأرض ويضعون عليه الطعام ويأكلون بأيديهم واكثر طعامهم الأرز مع اللحم يأخذون منه باخمس ويدعونه بالراحة ، ولا تكاد تستعمل الموائد المرتفعة والملاعق والسكاكين في داخل الهند الا في بيوت الأمراء وبعض المتعلمين على الطريقة الأوربية من رجال الحكومة وأضرابهم ، وانما يكون ذلك في الغالب لاجل ضيف غريب يعلمون ان ذلك من عادته ، وقد يسألونه ويخيرونه ، وفي بمبي يأكلون على الموائد المرتفعة . لكن بأيديهم في الغالب ، وفي الدعوات الكبيرة التي اقيمت لأجلي في بمبي رأيتهم يضعون لكل أربعة أو خمسة مائدة صغيرة عليها صينية من النحاس يجلس الناس حولها على الكراسي ويأكلون بأيديهم كل طعام الا المهلبية (ومثلها الكريمة) فيضعون لاجلها ملاعق صغيرة يأكلونها بها وهذه عادتهم في داخل الهند ايضاً ، وانه ليوجد في دار الغني منهم عشرات من الصواني النحاسية والموائد الصغيرة فقد أدبت في خدمة مأدبة كان يحضرها مئات من الناس . وما حضرت مائدة على الطراز الاوربي من كل وجه الا مائدة الامير الكبير راجا محمود آباد في لكنهو حتى ان الآكلين الذين كانوا معنا عنده قد التزموا الاكل بالشوكة والسكين ، وكنا في ضيافة النواب الكريم فتح علي خان بلاهور نأكل على الارض بأيدينا ولكنه اذا جاء ضيوف من الافرنج أو المتفرنجين يمدلهم مائدة أوربية الطراز ، وصديقي الشيخ قاسم ابراهيم في بمبي يأكل على الطريقة الاوربية أيضاً ، وانما الكلام في عادات مسلمي الهند في دعواتهم . وكانت مائدتنا في ضيافة الشيخ الجليل النواب وقار الملك في عليكره على الطراز الاوربي كل يوم الا أن الكثيرين كانوا يأكلون معنا بايديهم

وقلما يوجد في داخل الهند أفران ولعل ما يوجد منها خاص بالافرنج حيث يكثرون . ولأهل الهند يخبزون في بيوتهم واكثر خبزهم الرقاق يخبزونه على الصفيحة التي يسمونها في سورية «الصاج» ، ويليه الخبز التنوري

ويكثرون في الطعام من الافاويه والفلفل الاسود والاحمر فيكون شديد الحرافة يتألم من بعضه من لم يتعوده ، ويكثرون اكل اللحم ويقللون من الخضر وهذا لا يوافق طبيعة بلادهم الحارة

ومن عاداتهم في الدعوات والمآدب ان يضعوا في عنق الضيف بعد الطعام قلادة من انواع الزهر الذي يوجد في البلد ، ويعطوه بيده باقة منها مؤلفة تأليفا حسنا وهي التي يسميها المصريون الصحبة ، فان لم يوجد زهر يجعلون في عنقه قلادة من الزهر الصناعي أو مايشبه الزهر ، ولا يستثنى من هذه العادة عالم ولا حاكم ولا شيخ كبير السن ، وقد بلغني ان الانكليز جاروهم في هذه العادة ولا أدري أذلك قليل فيهم أم كثير

ومن عاداتهم أيضا ان يعرضوا على الضيوف الطيب على صينية فيها أنواع منه فيصيب كل مايختار ولكن هذه العادة غير عامة في الهند ، ورأيت أهل الكويت لا يتفرقون من دعوة ولا زيارة عادية الا بعد أن يعرض عليهم أهل الدار ماء الورد ثم مجامر العود الهندي فيتعطرون ويتبخرون وينصرفون

واما تحفة اهل الهند للزائرين التي هي كالقهوة في مصر وسورية والعراق فهي ورق البان (بالباء المفخمة) وهو شجر معروف عندهم وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته = يمضغون هذا الورق في مجالسهم وفي الاسواق والشوارع وبعد الطعام ، ويضيفون اليه مواد اخرى منها شيء يسمونه «الفوفل» ، ويحدث من مضغه لون احمر او برتقالي فترى شفاههم واشداقهم كانها مخضبة بالحناء او تحسب انه يخرج منها الدم ، ومنهم من يبقى ظهور هذا اللون في فمه ، ومن الطرف التي سمعتها من علمائهم في ذلك ـ وهي من قبيل المثل في مدح الهند ـ : من دخل هندستان ، وأكل الانب والبان ، نسي الاهل والاوطان . والانب هو الثمر الذي يسمونه في مصر « المنجو أو المنجا » بالجيم المصرية وهو اسمه بالانكليزية . وهو أجود فاكهة الهند ويكثر فيها جدا ومنه الجيد والردىء والوسط ويفضح في بعض البلاد قبل بعض ، ففي شهر ابريل رأيت ثمرته في البلاد التي مررت بها صغيرة خضراء في حجم حب المشمش وكان يرد الكبير الناضج منه الى بمبي من بلاد أخرى ، وهو في الهند أجود منه في مصر فان اردأ ما رأيته منه في بمبي كاجود ما يوجد منه في مصر

الحالة الاقتصادية :

أعجبني من أهل الهند قلة استعمال الملاعون الاوربي وعدم تقليدهم للاوربيين فيما يتوقف استعماله على جرف ثروة البلاد الى أوربة وكذلك قلة استعمالهم للازياء

الاوربية فان الكثير من النسيج الذي يلبسونه أو أكثره من صنع الهند . وحسبهم الضرائب الفاحشة التي تأخذها الحكومة الانكليزية منهم ولو كانوا في التفرنج كالمسريين لكان يقدر أن يوجد فيهم غني أو متوسط في الثروة

ينام الفقراء على الأرض وأهل النعمة واليسر على سرر من الخشب وبقل من هذه السرر ما كان سريراً تاماً تنصب عليه الكلة (الناموسية) والكثير الشائع بقوائم ليس لها عدد مرتفعة ووسط مشدود بأمراس متشابكة قد تغني عن الفراش

والصناعات الوطنية والمعامل المشيدة على الطريقة الأوربية كثيرة في الهند وهي للأفراد وللشركات الوطنية فالهند من هذه الجهة أرقى من مصر والآستانة فما دونها من البلاد الشرقية ولكنه لا يفضلها الا بلاد اليابان

التعليم الدنيوي والديني

للحكومة مدارس كثيرة في جميع البلاد والتعليم فيها دنيوي محض ـ الغرض منه نشر اللغة الانكليزية واعداد عمال صغار للحكومة، وتحويل الافكار والقلوب عما هي عليه من المقومات والشخصيات الاجتماعية والملية ، واشرابها عظمة الدولة الحاكمة وترغيبها في العادات التي تروج تجارة أمتها في البلاد ، فالتعليم في هذه المدارس لا يرتقي بالامة الى أعلى من المقاصد التي وضع لاجلها ، ولولا ذلك لأمكن للحكومة الانكليزية أن ترقي أهل الهند في هذه المدة التي استولت عليهم فيها الى الدرجة العليا فقد علمت وربت منهم عدة أجيال. ولكن هذا ليس من المعقول وانما المعقول هو الذي عملته فهو عين الحكمة التي قامت به مصلحتها ، وثبتت به سلطتها . وللحكومة النصرانية مدارس يقفون فيها عند حدود مدارس الحكومة في التعليم الدنيوي ويزيدون فيها تعليم الديانة النصرانية

وللوثنيين مدارس كثيرة أرقاها وأكثرها مدارس المجوس في بمبي والوثنيين في بنغالة ثم في غيرها ، ويذهب كثير من الوثنيين الى مدارس أوربة ومدارس اليابان العالية فيتعلمون دروسهم ويتعلمون من العلوم النظرية والعملية ما لا يوجد في شيء من مدارس الهند . ولطائفة السنك من الوثنيين عناية بتعليم دينهم ونشره بالدعوة اليه وتعليمه ، وهذه نزعة جديدة لم تعرف عن أحد من وثني الهند من قبل ، وهم على وجود الاصنام عندهم موحدون ، وقد أسمعنا كاهن منهم طائفة من كتابهم المقدس فاذا هو من أعلى الكلام في توحيد الله تعالى وتقديسه وتوجيه

القلوب اليه وحده ، ولئن سألتهم عن هذه الاصنام ليقولن انها وسائط كقبور الاولياء عندكم ، وأما دين البراهمة فهو مبني على وحدة الوجود وقد جرى بيني وبينهم في بنارس حديث في ذلك علمت منه أنهم يعتقدون ان الاولياء الواصلين من المسلمين كشمس الدين التبريزي وابن العربي انما غاية عرفانهم هي الوصول الى حقيقة دين البراهمة وسأشرح هذا في الرحلة ان شاء الله تعالى

وأما المسلمون فتأخروا في البدء بالتعليم العصري عن جميع شعوب الهند لأنهم كانوا أشد جفوة للانكليز من غيرهم وكان الانكليز يرتابون فيهم ما لا يرتابون في غيرهم ، ويخشون جانبهم ويحذرون قيامهم عليهم لانهم كانوا أصحاب السيادة والقوة قبل استيلاء انكلترة على البلاد . ولم يزالوا كذلك حتى قام السيد احمد خان وأسس مدرسة عليكره بمواطأة الحكومة الانكليزية وتعضيدها لانها رأت الوثنيين قد ارتقوا ارتقاء مبيناً تخشى عاقبته وانه لا بد من تهيئة المسلمين ليكونوا مع الحكومة عليهم اذا هم خرجوا عليها . وقد لقي السيد احمد خان في أول العهد بالعمل مقاومة من المسلمين وتضليلا وتكفيراً من رجال الدين ، ولكنه كان يأوي الى ركن شديد ، فنجحت مدرسته وعضدها أغنياء المسلمين وامراؤهم من جميع الفرق والنحل ، وطلابها الآن الف ومئتان أو يزيدون

جعلت الحكومة التعليم في هذه المدرسة محدوداً بالحدود التي ارادتها وجعلتها تابعة لنظارة معارف إله آباد فهي التي تتصرف في برنامجها كما تشاء ، وكان ناظرها ولا يزال انكليزياً ، وأما مجلس الامناء الكبير الذي ينظر في شؤون ادارتها والمدير الذي يسمونه «السكرتير» فكلهم من وجهاء المسلمين واكبر الفائدة من وجودهم جعل المدرسة موضع الثقة والمساعدة من المسلمين . وأما التعليم فيها فتوسط لا يصل الى درجة العالي في الواقع ولا في عرف الحكومة فمن أراد الشهادة بالتعليم العالي من المتخرجين فيها فيجب عليه أن يرحل الى انكلترة ويتم تعليمه فيها لينال هذه الشهادة . وقد توجهت الهمة أخيراً الى جعلها مدرسة كلية جامعة ووافقت الحكومة على ذلك فجمعوا لها الاعانات من الاغنياء حتى تم المبلغ المطلوب لذلك وهو ٣٥ لكاً من الروبيات الهندية تساوي ٢٣٣٣٣٣٣ من الجنيهات الانكليزية . وبلغني ان الحكومة قيدت أو تريد ان تقيد المدرسة في هذا الدور بقيود ثقيلة تجعل مجلس امنائها أقل حرية واستقلالا مما كان عليه من قبل ، ولكني فهمت من فحوى حديث النواب وقار الملك خلاف هذا فان مما قاله لي ان نصائحك التي أوعزتها بخطبتك

وما حثت عليه من ترقية التعليم العربي والديني سيتحول عن قريب عند ما تحول المدرسة الى كلية جامعة، فلعل من اخبرني ذلك الخبر يحكي رأي الذين يسيئون الظن بالحكومة الانكليزية ويعتقدون انها لا تمكن المسلمين من الارتقاء الحقيقي وسيكشف المستقبل القريب الحقيقة في هذا ، وموعدنا باطالة القول عن هذه المدرسة الرحلة

وللمسلمين مدارس دينية اخرى اعظمها مدرسة « أنجمن حماية الاسلام » في لاهور ثم مدرسة « أنجمن اسلام » في بمبي، وفي دهلي مدرسة كبيرة تسمى «المدرسة العربية» كانت أنشئت لاجل التعليم باللغة العربية وإحيائها ، ووهب لها أحد كبراء المسلمين في حيدر آباد مبلغا كبيراً من المال يصرف بواسطة الحكومة الانكليزية وفيها مئات من الطلبة لا يعرف أحد منهم من العربية شيئا ، بل معلم العربية فيها لا يعرف العربية !! والعبرة في هذا أن الاصلاح لا يحصل بمجرد بذل المال لأجله ، ولا بوضع النظام المحسن له ، وانما يقوم به الرجال الذين اشربت قلوبهم حبه ، ووقفوا حياتهم على السعي له والقيام به ، فمن أراد أن ينتفع بماله ويكون مصلحا فليبحث عن المصلحين المخلصين القادرين على العمل عاز جيهم اليه إخلاصهم وليساعدهم عليه، فكم وقف سلفنا من الارض والعقار على العلوم والأعمال النافعة فذهبت أوقافهم وضاعت لفقد العاملين المخلصين

هذا وان الحكومة الانكليزية موجهة بعض عنايتها في هذه الايام الى توسيع نطاق تعليم اللغة العربية في الهند ومساعدة المسلمين على ذلك ، كما ان كثيرا من الانكليز يعنون بتعلمها وقد سرني هذا جدا ونوهت به واثنيت على الحكومة لاجله في مجالسي وخطبي في المحافل والمدارس . ورأيت بعض المسلمين مرتابين في سببه فبعضهم يظن انها تريد به ان تشغل كثيرا منهم عن اتقان الدروس الانكليزية التي تؤهلهم لخدمة الحكومة ليقل عدد طلاب الوظائف منهم ، وهذا رأي ضعيف . والاقرب عندي ان سببه سياسي وهو طمع هذه الحكومة بالاستيلاء على البلاد العربية في الخليج الفارسي وغيره فهي تعد مسلمي الهند الوظائف في هذه البلاد لانها تريد به صرفهم عن الوظائف كما يظن بعضهم ، وانا لم أفض هذا الرأي في الهند لاني كنت أتحاشى السياسة فيها بقدر الامكان . وان كل مسلم عاقل يسره ان ينتشر تعليم العربية في في الهند مهما كان سبب عناية الانكليز به لان تعليم العربية يقوي الدين الاسلامي نفسه ولا ضرر فيه البتة ، ولا دخل له في تقوية مطامع الانكليز في العراق واليمن ولا يمكن ان يكون سببا ولا جزء سبب في نيل مطامعهم هذه ، وانما مدار هذا الامر

على سياسة الدولة العثمانية صاحبة السيادة على هذه البلاد وادارتها فاذا هي احسنت الادارة والسياسة وعنيت بأمر القوة الحربية في جزيرة العرب وقت البلاد من الاحتلال الاجنبي والا فالخطر الواقع واقع ماله من دافع

اما رأيي في القوة التي يجب ان تمدها الدولة لوقاية جزيرة العرب فهي تعميم تعليم العشائر والقبائل فيها وارسال ضباط اليهم يعلمونهم النظام العسكري والاعمال الحربية ولا سيما ضرب المصائب ، وان تقر جميع الامراء والزعماء في الجزيرة على ما كانوا عليه من الرياسة في قومهم ، وتستعين بهم على ما تريد من تعميم القوة في بلادهم . وقد بينت هذا الرأي في المنار من قبل وذكرت به بعض رجال الدولة ، ويؤيده ما جرى في طرابلس الغرب ولا خوف على الدولة ولا على سيادة العنصر التركي فيها من ذلك وقد ازددت بسياحتي هذه في البلاد العربية ايماناً ويقيناً بما كنت أعتقده من قبل من اخلاص العرب للدولة العثمانية واستعدادهم لبذل أرواحهم في سبيلها . وان اظهار ثقتها بهم لمما يقوي هذا الاخلاص في أنفسهم ، ويسرع باظهار ثمراته فيهم

ان الدولة الانكليزية قد اشتدت في منع ادخال السلاح لليمن ولعمان والعراق من عدة سنين وهي تسعى الآن بجمع السلاح من العراق وسواحل الخليج وعمان حتى انها تشتريه بالثمن فهل عرف رجال الدولة هذا وفكروا في أسبابه وحكمته ، وفي عاقبته ومغبته ؟

وكتب في البصرة في جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ « للكلام بقية »

السيد حسين وصفي رضا

(أقوال الفضلاء فيه)

ننشر في هذا الباب شيئاً من تعازي اهل الفضل في الاقطار البعيدة وغير البعيدة ونتبعه بشيء مما كتبته الجرائد السورية والمصرية ثم نتبع ذلك بنشر حفلة التأبين التي أقيمت من فضلاء وأدباء بيروت في غرف القراءة بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته

(٢٨)

ومما كتبه أحد افاضل علماء تونس

الى اخينا العلامة الشيخ محمد رشيد رضا افرغ الله عليه صبراً

اما بعد فانا لله وانا اليه راجعون . الآن علمت نبأ موت صاحبي الفاضل وصديقي